

الفكر التربوي وتطوراته عبر التاريخ الإنساني

Educational thought and its developments throughout human history

د. ابتسام غانم

أستاذة محاضرة قسم (أ)

المدرسة العليا لأساتذة التعليم التكنولوجي سكيكدة الجزائر

البريد الإلكتروني: basma_21@live.fr

ملخص:

إذا كان الإنسان يعد محور دراسة التاريخ لكونه صانع الأحداث ولأنه الكائن الوحيد الذي يمكن أن تنتقل ثقافته على مر العصور، فإن التربية تتخذ الإنسان محورا لها، وبذلك تشترك التربية مع التاريخ في أن محورها هو الإنسان. والتاريخ يعطي للتربية أفكارا عامة، وأمثلة ودروسا مختلفة سبق تجربتها والاستفادة من نتائجها منذ سنوات مضت، هذه العلاقة التفاعلية بين التربية والتاريخ جسدت تطور الفكر التربوي الذي يعد دراسة متخصصة للتاريخ من وجهة نظر التربية، وهذا ما جعلنا نتناول تطور الفكر التربوي عبر مراحل التاريخ الإنساني.

الكلمات المفتاحية: الفكر التربوي، التطور، التاريخ الإنساني، التربية، الإنسان

Abstract:

If human is the focus of the study of history for being the maker of events as he is the only object, whose culture can be transmitted throughout the ages, then education takes the human as a hub for it, thus education and history share a human centered approach. History gives general ideas to education in addition to examples and different lessons that have been tried and used since years ago. This interactive relationship between education and history embodied the development of educational thought, which is specialized in studying history and this is what we are dealing with the development of educational thought through the stages of human history.

Keywords: Educational thought, Development, Human history, Education, Human.

مقدمة:

الأهمية التي تحيط بالتربية قد أكسبتها من الخصوصية والميزات ما ارتقى بها إلى علم قائم بذاته، علم له مبادئه الخاصة من نظريات علمية، وقوانين، وتعريف مفاهيمية تميزه. وما يدل على ذلك هو التغيرات والتبدلات والتطورات التي طرأت على مفهوم التربية عبر العصور التاريخية وباختلاف وجهات نظر العلماء والباحثين. فوجود التربية واستمرارها هو ضرورة فردية واجتماعية، لا يمكن أن يستغني عنها الفرد ولا المجتمع. مع هذا الاهتمام المتزايد الذي يحاط بالتربية من جميع مكونات المجتمع، تثار الأسئلة التالية التي تبحث في تاريخ التربية والتي مفادها:

- ما مفهوم الفكر التربوي؟ وما الأهمية التي تحيط بدراسة تطوره التاريخي؟
- فيما تكمن الخصائص المميزة للتربية في المجتمعات القديمة؟ وما الأهداف التي كانت تسعى لتحقيقها؟
- كيف انتقلت التربية وتطورت مميزات تاريخها من المجتمعات القديمة إلى المجتمعات الحديثة؟

أولا/ الفكر التربوي: ماهيته وأهميته دراسته**(1) في ماهية الفكر التربوي:**

موضوع الفكر التربوي هو تحليل التربية ومعالجتها من المنظور التاريخي، فإذا كان التاريخ يدرس الأحداث والأشخاص، وفق العلاقات الزمنية والمكانية، ومحاولة تفسيرها، فإن الفكر التربوي أو ما يصطلح عليه تاريخ التربية يتناول جانبا واحدا من الثقافة هو نظام التربية، وهو نظام يعنى بالممارسات التربوية التي اتبعتها الشعوب والمجتمعات عبر العصور، وما ابتدعته من أنماط تربوية، من مؤسسات وأهداف وأساليب اختلفت باختلاف العصور والمجتمعات وتباين أوضاعها الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. (الحاج أحمد علي، 2013: ص71)

(2) أهمية دراسة الفكر التربوي:

تنبع أهمية دراسة الفكر التربوي من أسباب عدة أهمها يكمن في:

- معرفة تطوره مدخل لازم لمن أراد فهم النظريات والاتجاهات والنظم التربوية في الوقت الحاضر؛ فهذه النظريات والاتجاهات والنظم لم تأت من فراغ، إنما هي وليدة مخاض تاريخي طويل وتجربة إنسانية بعيدة الجذور.
- الأهمية الحضارية، التي تأتي من دراسة حضارات الشعوب الأخرى والتعرف على جوانبها المختلفة، لمساعدة العملية التربوية في معرفة ما ورثته من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل.
- الأهمية النفعية، التي تتمثل في الدروس المستخلصة من دراسة تاريخ التربية، فنجاح الثورة التربوية التي نشهدها اليوم في تحقيقها لمقاصدها وأهدافها يتأتى عن طريق دراسة تاريخ التربية، وفهم المفاهيم التربوية المتبعة في الماضي والإفادة من نتائجها.
- الأهمية المعرفية واللغوية: حيث يمثل أهمية لمعلمي المستقبل فمهارات المعلمين تتطور من خلال معرفتهم لتطور الممارسات التربوية عبر العصور.
- مواجهة المشكلات التربوية المختلفة، فكثير من مشكلاتنا التربوية المعاصرة لا يمكن فهمها إلا في ضوء دراسة العوامل والقوى التي أثرت فيها في لماضي. (همشري عمر أحمد، 2007: ص 43-44)

ثانيا/ التربية في المجتمعات القديمة

بتطور الحياة صعب على الأسرة القيام بعملية التربية، فنشأت مهنة جديدة هي مهنة المربين. فبعدما كانت العملية التربوية تتم في الساحات العامة أو أماكن العبادة تطورت الأمور ونشأت المدارس النظامية، ومع هذا التحول ظهرت الكتابة وبدأت الحضارات تسجل نظمها وقوانينها وشرائعها، فتعرفنا على أساليبها التربوية وطرقها في نقل التراث وتطبيع الأفراد. ومن الأمثلة عن التربية في العصور القديمة ما يلي:

(1) التربية عند المصريين القدماء:

نظرا لتعدد المجتمع والحياة المصرية القديمة كان لابد للمصري أن يتقدم خطوات أبعد من الانجازات التربوية البسيطة، التي كانت موجودة في المجتمعات الأقل مستوى حضاري، ولتعدد الحياة المصرية القديمة لم يكن من المستطاع أن يكتب الفرد الخبرات اللازمة لخلقه عضوا في

المجتمع من مجرد عمليات تقليد الكبار، ولهذا كان تعليمًا ونظامًا مدرسيًا معينا لابد من وجوده، وفتحت المدارس ومعاهد علمية طرق أبوابها التلاميذ ليكتسبوا الخبرات الثقافية والتكنولوجية اللازمة لمجتمع ضرب سهما وافرا في التقدم الحضاري وخاصة في ميدان الصناعة، على أن غرض المدارس بصورتها النظامية كان أكثر اهتماما بالأمور المتعلقة بتعلم اللغة والأدب وأيديولوجية الدولة. وقد أخضع الكهنة لنفوذهم الفنون والحرف ومختلف الأنشطة الفنية العليا في الدولة، ولم تكن هذه الفنون والحرف والتعلم في المدارس لكل من يريد تعلمها. أما النظام التربوي فكان يقسم إلى:

- مرحلة تعليم أولية للأطفال في مدارس ملحقة بالمعابد بمكان خاص بالعلم.
- مرحلة متقدمة وهي عبارة عن مدارس نظامية يقوم بالتعليم فيها معلمون مختصون إلا أنها كانت تقتصر على أبناء الفراعنة والطبقة الأولى والخاصة.
- مرحلة التعليم المهني.
- مرحلة التعليم العالي حيث كان لديهم جامعات تدرس علوم الرياضيات والفلك والطب والهندسة. (سعد مرسي أحمد، 1998: ص103)

(2) التربية الصينية:

عكست خصائص المجتمع الصيني، وفلسفته الدينية، حيث اعتبرت التربية عملية تلخيص للماضي، ترمي إلى أن تركز في الفرد حياة الماضي بأدق تفاصيله، بحيث لا يختلف عنه أو يتخطاه، وذلك وفقا للتعاليم الكونفوشيوسية التي أكدت أن هدف التربية الصينية هو تدريب كل فرد على صراط الواجب، أي إتباع ما هو موجود من قوانين وأنظمة وشرائع وأخلاق وعادات. ومن المبادئ التي يتعلمها النشء دراسة الفضيلة وخدمة الأقارب وكيفية اللبس والآداب والفلسفة والعلاقات الروحية، ودراسة تعاليم كونفوشيوس ومبادئه المختلفة، وصور تنظيم العلاقات بين الحاكم والمحكوم، والوالدين والآباء، والأزواج والأصدقاء، إلى جانب فهم وصاياه وفضائله التي شكلت خلفية التربية الثقافية الصينية. (الحاج أحمد علي، 2013: ص75)

ما ميز التعليم عند الصينيين نظام الامتحانات، فهو المعيار الأساسي لاختبار موظفي الحكومة، ومن ينجح فيها، يكون موضع ثقة الشعب واحترامه وله لباس خاص ويحمل أوسمة، وله الصدارة في

الحفلات والأعياد والمراسيم، لذلك تجرى الامتحانات تحت إشراف الحكومة، ومن قبل لجان تتألف من كبار علماء الدين، الذين سبق وأن اجتازوا هذه الامتحانات، وتنقسم هذه الامتحانات إلى ثلاثة أقسام هي:

- امتحانات الدرجة الأولى: وتجرى مرة كل ثلاثة أعوام، ويوضع الممتحن في غرفة خاصة لمدة 24 ساعة، وفي هذه الامتحانات يجيب الطالب على ثلاثة رسائل مختارة من كتاب "كونفوشيوس".
- امتحانات الدرجة الثانية: تقام بعد أربعة أشهر من امتحانات الدرجة الأولى، وتدوم ثلاثة أيام، وتشبه امتحانات الدرجة الأولى، غير أنها أكثر صعوبة.
- امتحانات الدرجة الثالثة: وتقام في العاصمة، وتدوم ثلاثة عشر يوما.

(3) التربية الهندية:

تميز المجتمع الهندي القديم بسمتين أساسيتين هما:

- الروح الطبقية: حيث كان المجتمع الهندي مقسم إلى طبقات وراثية لا يجوز للفرد الارتقاء من إحداها إلى الأخرى، بل حتى التزاوج بينهم.
- مذهب الحلول والتناسخ: يقر بخلود الروح وتناسخها، وترى أن الروح تنتقل بين أجساد عديدة، لذا يرى الهندي أن عليه التخلص من روحه التي لربما تحمل نزعات شريرة والتوجه إلى التصوف والتأمل والتخلص من حب الدنيا.
- ولكل ما ذكر أعلاه تأثيره في التربية الهندية وتحديد ملامحها وهي:
- كان الكهنة وحدهم القائمون على أمور التربية.
- كانت المرأة محرومة من كل تعليم وثقافة.
- كان العقاب البدني مسموح به.
- كان التعليم مقتصر على طبقة الكهنة فقط.
- كان التعليم مجانياً، إذ حرمت الكتب المقدسة فرض نفقات أو رسوم على التعليم لأن ذلك مخالف للسماء.
- كانت الكتابة تتم بواسطة القضبان الحديدية بالخط على الرمل.

أما عن أنماط التربية الهندية القديمة فتمثلت في نمطين هما:

- 1- التربية البراهمية: سيطر رجال الدين البراهمانيون (الكهنة) على الكتابة وتعليمها، وكان هدف التعليم غرس الأخلاق الحميدة، والتحكم في العقل والإرادة والجسم من أجل اكتساب عادات التفكير والإحساس والتحكم بالجسد والسلوك وإنكار الذات.
- 2- التربية البوذية: تتفق البوذية مع البراهمية في الاهتمام بالمثل العليا الدينية والخلقية وتختلف معها في الدين والأيدولوجية ونوع المدارس وتعليم البنات. وقد رفض بوذا نظام الطبقات الاجتماعي، وكان البوذيون يؤكدون على الزهد والعزلة ليحقق الإنسان انتصاره على شهواته. (منشد فيصل عبد، 2013: ص49)

(4) التربية في وادي الرافدين:

- التربية عند الكلدانيين: الكلدانيون شعب آسيوي، سكنوا البقاع الخصبة بين نهري دجلة والفرات. وقد عرفوا المدارس، وكان معلموهم من السحرة، والمعابد هي المراكز الرئيسية للنشاط الفكري. وقد كانت للكلدانيين لغتهم الخاصة التي تستخدم في الاحتفالات الدينية. أما التربية العالية فقد اقتصر على السحرة والطبقات العليا من المجتمع. وكان التعليم فنيا وعمليا بالدرجة الأولى، وهدف إلى تكوين تجار وكتاب. كما اهتموا بدراسة الدين والفلك والتنجيم والتاريخ وعلوم التجارة والمحاسبة. وكشفت الحفريات عن مجموعة من مؤلفاتهم في شتى جوانب المعرفة الإنسانية. وقد انقرض الكلدانيون، غير أنهم أورثوا الأمم من بعدهم حضارة متقدمة عميقة الجذور. (همشري عمر أحمد، 2007: ص 52-53)
- التربية عند البابليين والآشوريين: البابليون هم شعب كان يقيم في أسفل حوض نهري دجلة والفرات، بينما سكن الآشوريون في الجزء العلوي. كان شعبيهما نزاعا إلى التدين، كما عرف المدارس، وكانت المعرفة ضرورية لديهم لتوفير الهدوء والرفاهية للأفراد، ويحتفظون بوساطتها بسمعة وطنهم أمام سواهم. كما عرف شعبيهم جدول الضرب والنظام العشري في العد، ونظام تعليم القراءة عن طريق تجميع مقاطع الكلمات، والفلك والرياضيات، وأوجد نظام الأسبوع المؤلف من سبعة أيام والتشريع والنظام وأشهرها شريعة حمورابي (2288-2342 ق.م)، كما وضع الآشوريون تصنيفات مهمة للمملكتين النباتية والحيوانية.

(5) التربية عند العرب (العصر الجاهلي):

كان العرب في الجاهلية ينقسمون إلى قسمين كبيرين هما: البدو والحضر. وكانت العائلة هي أهم وسائل التربية عند العرب وخاصة البدو منهم، وكان أهم ما يتعلمه البدو هو الصيد والرمية والقنص وإعداد آلات الحرب، بالإضافة إلى تعلم القتال لردع الأعداء ومنازلة الوحوش الصحراوية، وكانت الوسيلة التربوية المتبعة في ذلك كله هي المحاكاة والتقليد أو طريقة النصيح والإرشاد من كبار السن وشيوخ العشائر. وكانت التربية مقتصرة على تعليم الأطفال القراءة والكتابة وقليل من الحساب. (الطروانة أخليف يوسف، 2004: ص51)

• أما الحضر فقد كانت تربيتهم أكثر رقياً وتقدماً من البدو وانقسمت إلى قسمين: ابتدائية وعالية، وكانت لهم طرق في التدريس لا تعتمد على الحفظ والتقليد مثل البدو، وكان التعليم عندهم إنفرادياً، إذ يخصص كل معلم جزء من وقته لكل تلميذ. وكان لأهل الحضر مدارس ومعاهد للتربية والتعليم وأماكن لطلب العلم. (همشري عمر أحمد، 2007: ص55)

(6) التربية اليونانية (الإغريق):

تميز اليونانيون عن سواهم من الأمم الشرقية القديمة، باحترامهم للعقل وللنظم السياسية والاجتماعية والتربوية والفلسفية، كما تميزت التربية لديهم بروح التجديد والابتكار وروح الحرية الفردية، مما أعطى المجال لنمو الشخصية الفردية في كافة جوانبها، وكان هدف التربية لديهم الوصول للإنسان إلى الحياة السعيدة الهانئة، وتحقيق الانسجام بين الكمال الروحي للفرد وكماله الجسدي. وتنقسم التربية اليونانية القديمة إلى قسمين (منشد فيصل عبد، 2013: ص67) هما:

1. التربية الإمبرطية: تتمحور حول الاهتمام بالجسد دون الروح فهي أشبه بالتربية العسكرية، هدفها إعداد المواطن ليكون جندياً شجاعاً منضبطاً ومحترفاً لأعمال الحرب ومطيعاً للقانون والحكومة، أما مراحلها فهي:

- المرحلة الأولى (من 1-7 سنوات): الأسرة تربي الطفل (الأم تربي طفلها بقسوة).
- المرحلة الثانية (من 7-18 سنة): الدولة تربي الفرد (نظام صارم).

- المرحلة الثالثة (من 18-20 سنة): التدريب على الأعمال الحربية.
- المرحلة الرابعة (من 20-30 سنة): الالتحاق بصفوف الجيش.
- 2. التربية الأثينية: اهتمت بالإنسان، هدفها مساعدة الفرد على تحقيق النمو المتكامل في النواحي العقلية والنفسية والجسمية والروحية. وقد أدى ظهور مجموعة من الفلاسفة والمفكرين في أثينا إلى تطوير الفكر التربوي اليوناني آنذاك، مثل سقراط الذي اعتقد بأن التربية هي وسيلة تحقق الخير والسعادة والمجتمع الأفضل، وأفلاطون الذي رأى أن التربية هي عملية تدريب للأخلاق لدى الأفراد حتى ينمو لديهم الشعور بروح الجماعة والولاء للدولة، أما أرسطو فقد أكد على أن السعادة تتحقق عن طريق التربية الجسمية والخلقية والعقلية.
- (7) التربية الرومانية:
- التربية الرومانية عملية مادية نفعية غايتها تدريب الفرد على الحية العملية، وخاصة العسكرية، وإعداد أجيال مدربة على فنون الحرب والقتال وتقوية الأجسام عن طريق الرياضة، وإعداد النشء في النواحي المهنية، وفي الخطاب والفصاحة، وإعداد الفرد للحياة السياسية. ولتحقيق هذه الأهداف وجدت مناهج دراسية موزعة إلى مراحل حسب السن، وهي:
- المرحلة الأولى (من 7-12 سنة): يلتحق الطفل بالمدرسة الأولى، ومنهجها القراءة والكتابة والحساب.
- المرحلة الثانية (من 12-16 سنة): يلتحق الطفل بمدارس النحو، ومنهجها النحو والصرف والأدبيات.
- المرحلة الثالثة (من 16-18 سنة): يلتحق بمدارس الخطابة، ومنهجها الخطابة والمنطق والبلاغة.
- المرحلة الرابعة (18 سنة فما فوق): يلتحق بالجامعات ومنهجها الفروع المختلفة للمعرفة، كالطب والبناء والرياضيات. (الحاج أحمد علي، 2013: ص82)
- (8) الانتقادات الموجهة للتربية في المجتمعات القديمة:
- (أ) الإيجابيات:
- احترام الأفراد كبار السن كالوالدين أو المرين أو رؤساء القبائل.

- التمسك بالعادات والتقاليد والسلوكيات الخيرة المرتبطة بالطقوس الدينية.
 - قوة التضامن الاجتماعي وحدة التماسك لأفراد المجتمع الواحد.
 - مراعاة المصلحة الذاتية ومصلحة العائلة ومصلحة الجماعة التي ينتهي إليها.
- (ب) السلبيات:

تميزت بالتمسك الأخلاقي، وسعت لاستمرار العرف السائد في الجماعة دون تغيير أو تعديل، وحاولت تشكيل الفرد بالثقافة المحيطة به، دون أن يكون له مجال للحرية والاختيار.

ثالثا/ التربية في المجتمعات الحديثة

تأثرت التربية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، بالتطورات التي عرفتها مختلف العلوم الإنسانية والتجريبية، كعلم البيولوجيا والفيزيولوجيا، وكذا علم الاجتماع وعلم النفس وغيرها، مما انعكس إيجابيا على بلورة الفكر التربوي الحديث خاصة بعد أن طرح "روسو" أفكاره التربوية التي غيرت الكثير من أوضاع التربية والتعليم لاسيما تلك المتعلقة بالطفل. وقد عرف الفكر التربوي في القرن العشرين، وثبة نوعية وكبيرة بفضل جهود كبار المربين والفلاسفة وعلماء النفس، مما أنتج فكرا تربويا معاصرا ومتكاملا، قوي الصلة بالعلوم الحديثة المختلفة. ففي بداية القرن العشرين نشأت حركة جديدة عرفت بالتربية الحديثة، والتي اعتبرت نقیضا صارخا للتربية التقليدية السلطوية، واستطاعت أن تحدث تغييرا أساسيا في النمط والسلوك التربويين، متطلعة نحو مستقبل تربوي رائد يبنى على الفرد باعتباره المحور فيها، واستوحيت أفكارها من رواد كبار أمثال: (إيراسموس، جان جاك روسو، وبستالوتزي، جون ديوي وإدوارد كلاباريد... إلخ). (جابر حسن، حزيران 2010)

وأسس بعضهم مدارس حديثة دعت بالنشطة الفاعلة. وانبثقت مصادرها من جذور رئيسية ثلاثة هي:

- الاعتماد على العلم وجعله المرتكز والأساس للتربية.
- العمل على إصلاح المجتمع والذي يتم عبر التربية.
- تأثير البعد الروحي والإلهام الديني.

وعليه فلقد حظيت التربية في القرن العشرين باهتمام بالغ من قبل المجتمعات والدول على اختلافها، فخصصت لها الأموال والإمكانات البشرية والمادية والتكنولوجية، واحتلت مكانة خاصة لم تحتلها في أي عصر من العصور السابقة. وأصبح ينظر إليها على أنها إحدى وسائل التنمية الشاملة، وإحدى وسائل تقدم المجتمع لحديث وتطوره.

ومن أشهر علماء التربية ومفكرها في القرن العشرين: جون ديوي، وليام كلباتريك، جورج كاونتس، بويد بود، جون تشايلدز، هارولد رج، وكارلتون.

ومن بين اهتمامات التربية الحديثة والتي ترجمتها مختلف الفلسفات والنظريات التربوية التي دعت إلى تغيير إطار المدرسة التقليدي الذي ينحصر في (المعلم-الطالب-الصف) (جراتات عزت وآخرون، 1986: ص30) نذكر:

- تنمية مفاهيم التعليم الذاتي ومبادئه لدى الأفراد.
- تنمية مفاهيم التربية المستديمة ومبادئها.
- توثيق الصلة بين التربية والتعليم وحاجات المجتمع.
- الاهتمام بدور المعلم وبسلوكياته، وإعداده وتدريبه قبل الخدمة وأثناءها.
- الاهتمام بمشكلات البيئة ودور التربية في حلها ومعالجتها.
- تطوير أساليب التقويم وتنويعها وشموليها.
- الاهتمام بتنمية الشخصية المتكاملة للفرد من جميع جوانبها.
- الاهتمام بالربط بين الجوانب النظرية والتطبيق العملي.
- تفجير الطاقات الكامنة للمتعلم، بما يعود بالنفع على الفرد والمجتمع.
- التركيز على مفهوم التربية الجماعية القائمة على مبدأ التربية للجميع.
- التركيز على مبدأ الحرية والاستقلالية في التفكير والنقد والحوار (المعلم والمتعلم قطبين متكاملين).
- الاهتمام بالكيف لا بالكم في العملية التربوية (كيفية التعليم، المادة الدراسية، المواضيع المقررة، نوعية المتخرجين).

- ظهور مفهوم النظم التربوية وتطوره، على اعتبار أن التربية هي نظام فرعي من النظام الكلي للمجتمع، وله نظمه الفرعية الخاصة به، مثل: نظام الطلبة، نظام المعلم، نظام الإدارة، نظام التمويل، نظام المباني والتسهيلات، نظام المدخلات والمخرجات. ويعتبر مفهوم التربية الحديثة في المدرسة النشطة الفاعلة، أن النشاط الحقيقي للمتعلم أساسه الاستقلالية، والابتعاد عن سياسة الفرض، والاكتفاء بمبدأ التوجيه، باعتبار المتعلم مسؤولاً عن إنجاز النشاط في مختلف أبعاده، كأن يقوم المتعلم بكتابة نص حر، أو إجراء مناقشات، أو تحقيق، أو القيام بمشروع ... إلخ. الأمر الذي يولد لدى المتعلم السعادة والرغبة والاندفاع دون إكراه.

ومن هنا فرضت في التربية الحديثة عبارة "تعلم التلميذ" بدل "تعليم المعلم"، فاستبدلت المحاضرات ببيئة تربوية غنية بنشاطاتها ووسائلها.

(1) العوامل المساهمة في ظهور التربية الحديثة:

سعى الفكر التربوي الحديث إلى تلخيص أفكار المدارس التربوية الماضية ورصد مبادئها ونظرياتها ومنطلقاتها وأهدافها، محاولاً إعادة تصنيفها في ضوء تلك المبادئ والمنطلقات والأهداف، وتشكيلها في مدارس كلية تنسجم أهدافها مع مبادئها ومنطلقاتها، ولكن بثوب عملي يعبر الأداء اهتماماً بارزاً، ويعتبر النشاط التربوي مرتبطاً ارتباطاً عضوياً بالأفكار والمبادئ التي ينطلق منها، وبالأهداف التي يصبو إلى تحقيقها، وذلك بإتاحة الفرصة أمام تلك المبادئ والفلسفات لتطبق عملياً وفق أساليب متنوعة في قاعات التدريس، ومراقبة آثار ذلك على سلوك التلامذة، وإصدار حكم على مدى قربهم أو بعدهم عن الأهداف المرجوة. وسنوجز أهم سمات التربية المعاصرة:

1- تفاعل معطيات المدارس الثلاثة (العلمية، السيكلوجية، الاجتماعية) التي كان لها كبير الأثر في ظهور التربية الحديثة، فكان من شأن المدرسة السيكلوجية أن حسنت في طرائق التعليم وأساليبه. وتجلّى أثر المدرسة العلمية في اختيار مواد المنهج ومناهج التفكير العلمية، أما المدرسة الاجتماعية فقد أسهمت في إعطاء البعد الاجتماعي للتربية، ونتج عن ذلك تنظيم جديد للمعاهد والمدارس، كاحتوائها على تجهيزات ومرافق إنسانية.

2- تعاضم الدراسات الباحثة عن معرفة حقيقية لعالم الطفولة، والتي نادى بها بستالوتزي، وبالتالي احتلت فكرة النشاط الذاتي للطفل، مواجهة الحشو الخارجي له، حيث صار المعول عليه والمعمول به، هو هذا النشاط الذي يكسبه خبرات خاصة نتيجة تجاربه الذاتية، وفق خصائصه وميوله واهتماماته. وبالتالي أصبح الاهتمام بمهارات التفكير والبناء العقلي هو الأساس، لا نقل المعارف والمعلومات واستظهارها.

3- ومما ذهب صعبا في التربية الحديثة، الاتجاه الداعي إلى بناء المناهج وتنظيمها على أسس علمية. وهذا ما أدى إلى تراجع النظريات التربوية المثالية، حتى كأنه لم يعد لها مكان على مسرح التربية الحديثة، وخاصة بعد الثورة الصناعية. وبالمقابل استحوذ الجانب العملي التطبيقي على أهمية خاصة. وأصبحت الدول تهتم بالتعليم المهني، وتعتني بمعاهده أكثر من اهتمامها بفصول الدراسة الأكاديمية العامة.

4- ترسخ الاتجاه الذي نادى به روسو القائل: (إن التربية هي الحياة). وأصبح المتعلم مركز العملية التعليمية-التعلمية ومحورها، وذلك ابتغاء تحقيق اكتماله في كل مرحلة من مراحل نموه. وهذا أدى إلى مزيد من الاهتمام بالمواقف الاجتماعية الحية، عن طريق التمثيل وتأدية الأدوار، وعقد الندوات والحوارات، وما إلى ذلك، وهذا من وحي هذه المدرسة الاجتماعية في التربية وتأثيرها، والتي قصرت مفهوم التربية على تطور المجتمع ونموه، وجعلت هدف التربية إعداد المواطنين الصالحين، المتفاعلين في دائرة الخدمات الاجتماعية، بحيث يؤمن الفرد أن خدمته نفسه تتأتى له عن طريق خدمته مجتمعه.

5- صارت الأجهزة والدوائر التربوية أكثر توافدا وتفاعلا، وتمركزت في يد السلطات السياسية، فهي التي تعد المناهج، وتدريب المشرفين والموجهين والمدرسين، حيث صار التدريس مهنة، ويجب على المدرس أن يطور قدراته باستمرار. فصرنا نشهد اليوم هرما تربويا، رأسه وزير التربية. ويعمل في وزارته عشرات آلاف التربويين، وهناك دوائر للتخطيط ودوائر للإشراف، وأخرى للتوجيه وصولا لمدير المدرسة والمدرسين. (أبو عواد صالح بن علي: مارس 2014)

(2) أهداف التربية الحديثة:

تتحدد أهداف التربية الحديثة أو ما يطلق عليها بالتربية الجديدة حسب منظور العصبية الدولية للتربية الجديدة (حركة بيداغوجية تأسست سنة 1921م بمدينة *Calais* تنادي بتطبيق مبادئ التربية الحديثة في مجال التربية والتعليم) في المتطلبات التالية:

1. أن تهئ الطفل لكي يكون قادرا على استيعاب تعقد الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع المعاصر والمحافظة على حرية الفكر من خلال تنمية روح التفكير العلمي لديه.
2. أن تستجيب التربية للمتطلبات الذهنية والوجدانية لأطفال ذوي طبائع مختلفة، وأن تقدم لهم فرصا دائمة للتعبير حسب مميزاتهم وخصائصهم الفردية.
3. أن تساعد الأطفال على التكيف الصحيح مع متطلبات المجتمع الاجتماعية بالاستعاضة عن الانضباط القائم على الضغط والخوف بتنمية وتشجيع المبادئ الشخصية والاعتداد بالذات لدى الأطفال.
4. أن تيسر التربية التعاون بين أعضاء المجموعة المدرسية بجعل المدرسين والتلاميذ يستوعبون قيمة التنوع والاختلاف وحرية الفكر.
5. أن تجعل التربية الحديثة الطفل معترزا بإرثه القومي الخاص ومتقبلا ومنفتحا على المساهمات الأصيلة لمجتمعات أخرى في الحضارة المعاصرة. (الفاربي عبد اللطيف وآخرون، 1994: ص 95)

(3) خصائص التربية الحديثة:

من أهم خصائص التربية الحديثة أنها:

1. حولت مركز الطفل في العملية التربوية من دور المشاهدة والاستماع، إلى مركز الاهتمام واستغلال الخبرة الشخصية، أي من متعلم سلبي إلى متعلم فاعل متفاعل.
2. جعلت دور المعلم أكثر إيجابية في تعامله مع الطفل، أي من معلم محتكر للمعرفة إلى معلم يتميز بالقدرة على: التنشيط، التوجيه والتنظيم والتقويم.
3. أحدثت تغييرات عميقة للمناهج في محتوياتها وطرائقها ووسائلها، حيث جعلتها أكثر مرونة وملائمة مع طبيعة المتعلم، وخصائصه العقلية والنفسية وبيئته الاجتماعية، تمكنه من اكتساب كفاءات ومهارات تيسر له عملية الاندماج في المجتمع وعالم الشغل، بدلا من تلك المناهج التي يغلب عليها الكثافة والحشو والتلقين. (الطروانة أخليف يوسف، 2004: ص 51)

(4) أسس التربية الحديثة ومبادئها التربوية:

من المبادئ التربوية التي تركز عليها التربية الحديثة نذكر:

1. المعلم: ضرورة تزويده بالخبرات التعليمية والنفسية والتربوية الحديثة.
2. المنهج: أن يكون مرنا قابلا للتقييم والتقويم ومواكبة العصر ومتطلبات المجتمع باستمرار.
3. الكتاب المدرسي: أن يكون سهل الفهم معززا بالصور، مناسباً للمتعلمين، يحقق أهداف المنهج.
4. طرق التعليم: الابتعاد عن العقاب البدني والمعنوي، وتحاشي استعمال الطرق القديمة كالتلقين والحفظ الآلي، والتأكيد على طرق حديثة تراعي حالات المتعلمين النفسية والعقلية وطبيعة المادة، وتنوع طرق التدريس.
5. الثقافة النفسية: الاستفادة مما توصلت إليه الدراسات النفسية في مجال النمو الجسدي والعقلي والنفسي، وأن يتضمن إعداد المعلمين الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات النفسية في مجال التربية والإعداد.
6. التقييم والتقويم: استخدام أساليب واختبارات دقيقة لتقييم وتقويم المتعلمين، لكشف مهاراتهم في مواقف متعددة (ك: الامتحانات، الأنشطة الصفية والاجتماعية، إعداد البحوث، والاشتراك في برامج فنية واجتماعية)
7. الإرشاد والتوجيه: غايته معالجة المشكلات المختلفة للمتعلمين قبل تفاقمها، وإيجاد الحلول المناسبة لها.
8. ربط التربية بالمجتمع: إعداد المتعلمين القادرين على التكيف مع ظروف المجتمع والمساهمة في تطويره.
9. التخطيط: هناك أنظمة تخضع لها التربية، فلكل مرحلة دراسية مناهجها، ولكل منهج طريقه وأساتذته المختصون، وهناك شروط لقبول الطلبة في كل مرحلة وفي كل تخصص.
10. شمولية التعليم: لم تعد التربية حكرا على الأغنياء دون الفقراء ولا على الرجال دون النساء.
11. استعمال الأسلوب العلمي: ويكون ذلك في مجال البحث وفي إعداد المناهج وفي إتباع طرق التعليم وفي معالجة مشكلات المتعلمين والمجتمع. (الدلفي محسن علي، 2014: ص41)

(5) وظائف التربية الحديثة في المدرسة:

إن رسالة المدرسة في المراحل الأولى تنحصر في تربية التلميذ على مقومات تربوية حديثة تتجلى في النواحي الآتية:

أ. النمو الجسدي أو الجسدي: تعنى المدرسة بالنمو الجسدي للتلميذ من حيث تزويده بقواعد حفظ الصحة والسلامة الجسدية والتغذية ووسائل الوقاية من الأمراض وتكوين العادات الصحية وذلك عن طريق وسائل عدة منها: (الكتب والمجلات، الدروس المقدمة في القسم، الزيارات الميدانية، الأنشطة العلمية، التربية الرياضية، فهم حقائق النمو).

ب. النمو العقلي: للمدرسة دور كبير في النمو العقلي للتلميذ، ومن الوسائل التي تستخدمها المدرسة لتنمية هذا الجانب ما يلي: (الكتب والمجلات، الزيارات المختلفة، الأنشطة الرياضية المختلفة، اكتساب عادات التفكير العلمي).

ج. النمو الاجتماعي: للمدرسة وظيفة كبيرة في تعريف التلميذ بالنظم الاجتماعية والوظائف التي تقوم بها المنظمات المختلفة وكيف يستفيد منها الفرد والجماعة، وللمدرسة أيضا وظيفة كبيرة في اكتساب التلاميذ للمهارات اللازمة لكي يعيش في المجتمع ويزاول مسؤولياته على أكمل وجه ويتم ذلك بطرق مختلفة منها: (دراسة القوانين المدنية والأخلاقية، احترام العادات والتقاليد، تنمية عادات التهذيب واللطف والعدالة والموضوعية والتسامح والحب وسواها، ربط علاقات اجتماعية طيبة في المدرسة).

د. النمو النفسي: للمدرسة وظيفة كبيرة في اكتساب التلميذ للصفات والاتجاهات التي تجعله يحترم الآخرين ويثق فيهم ويميل إلى ممارسة الصراحة والحرية والتحرر من الاعتداء على حرية الآخرين وحقوقهم ويتم ذلك بطرق مختلفة منها: (دراسة الشخصية، التوازن الانفعالي والعاطفي، فهم الذات).

هـ. النمو الفني والجمالي: للمدرسة وظيفة كبيرة في إكساب التلميذ تذوق الآداب والفنون والموسيقى والحرف اليدوية وغير ذلك من الأنشطة المبدعة، وتصل المدرسة إلى ذلك بما يلي:

(معارض الفنون الجميلة، التربية الموسيقية، المحاضرات والأمسيات الشعرية، الزيارات الميدانية المختلفة). (بوقطاية مراد أكتوبر 2002: ص 52-54)

(6) مقارنة بين التربية التقليدية والتربية الحديثة:

لأبد من الإشارة أن التربية التقليدية تنطلق لتمارس دورها من جهل بعالم الإنسان، ومن رؤية غير واضحة لمداركه، واعتبرته الوعاء الذي يمكن حشوه بالمعلومات ليس إلا. والتربية الحديثة بدورها انطلقت من فهم شمولي وأكثر موضوعية لفهم واقع الإنسان وفعاليته، وتتبنى كل ما توصل إليه العلم الحديث من ثوابت وحقائق، ومدارك، وانفعالات الفرد، ذات صلة ببيئته وواقعه.

بالعودة لعملية المقارنة بين التربية التقليدية والحديثة، نجد فرقا شاسعا وتلمس الفارق في كيفية التعاطي وإدارة عالم الطفل في المدرسة عبر وسائط وأساليب متنوعة من حيث الأسلوب والغاية والطريقة، ويتجسد بالمميزات التالية:

المميزات	التربية التقليدية	التربية الحديثة
(أ)	- تقليدية - كلاسيكية.	- حديثة - متجددة.
	- منغلقة - شكلية.	- منفتحة.
	تعليم مسلم به، قطعي وموسوعي.	- تعلم وظيفي نشط وفاعل.
	تتمحور حول المدرسة.	تتمحور حول المتعلم.
(ب)	نقل الثقافة الموضوعية إلى الأجيال الناشئة.	- نقل الثقافة انطلاقا من قوى وقدرات المتعلم.
	تشكيل وقولبة المتعلم.	تنمية القوى المتأصلة لدى المتعلم.
(ج)	تربية من الخارج إلى داخل المتعلم.	تربية من الداخل نحو الخارج.
	تربية مبنية على جهد المتعلم.	تربية مبنية على اهتماماته.
	مدرسة سلبية مبنية على اتباع وتقليد النموذج.	مدرسة نشطة مبنية على التعلم بالعمل.

		تربية موسوعية.	تربية وظيفية.
(د)	مفهوم المتعلم	المتعلم كالشمع اللين.	المتعلم حاجات، اهتمامات وطاقة مبدعة.
		للطفولة قيم محددة قليلة مقابلة مع قيم الراشد.	الطفولة قيمة بحد ذاتها.
		المعلم يتصرف والمتعلم يتلقى.	المتعلم يتصرف ويتفاعل.
		الذكاء هو المقصد.	نمو متكامل لقدرات المتعلم.
(هـ)	مفهوم المنهج	لا يأخذ المحتوى الدراسي اهتمامات المتعلمين بعين الاعتبار.	اهتمامات المتعلم وحاجاته هي التي تصنع المنهج.
		المنهج مثالي (محتوى منفصل عن المتعلم).	المنهج واقعي (يرتبط بالوسط الذي يعيش فيه المتعلم).
(و)	مفهوم المدرسة	وسط تربوي مصطنع.	وسط طبيعي واجتماعي، واقعي، تصبح المدرسة بموجبه وسط حياة التلميذ.
		كبت العواطف (جعلها على مسافة من المعلم).	عفوية وتلقائية في التصرف الطفولي.
		حل مسائل مصطنعة.	حل مسائل واقعية مستقاة من حياة المتعلم.
		تحضر المتعلم للمستقبل.	تجعل المتعلم يعيش مع المسائل الخاصة به.
(ز)	دور المعلم	يقود عملية التعلم.	مشارك يوجه ويرشد عملية التعلم.
		هو مركز الأداء الفاعل والتعليمي.	- يحث التلاميذ على البحث عن

المعرفة			
المتعلم مركز الفعل الناشط، يتفاعل مع الوسط التعليمي.	هو الناشط الفاعل والنموذج للتقليد، والمتعلم ينفذ ما يمليه عليه المعلم.		
نظام شخصي يركز حول اهتمامات المتعلم	نظام تسلطي، مفروض على المتعلم من الخارج.	النظام المدرسي	(ح)
نظام يتأتى من داخل المتعلم.	ما على المتعلم إلا الانصياع للأوامر.		
منافسة مع الذات وتقديمها.	عقاب وثواب ومنافسة مع الآخر.		

جدول رقم (1) يبين مقارنة بين التربية التقليدية والتربية الحديثة

(جابر حسن، حزيران 2010)

(7) الانتقادات الموجهة للتربية الحديثة:

يوصف القرن العشرين أنه عصر التقدم العلمي والتكنولوجي وبلورة الأفكار والآراء والنظريات وتحولها إلى واقع عملي. ومن عيوب هذا القرن هو تميزه بانتشار الروح القومية وحلول التعصب الديني والوطني، مما أدى إلى توطيد مفهوم الدولة على حساب الدين وخاصة في مجال التعليم، وقد برزت ثلاث نزعات للتربية في هذا العصر وهي (الطيبي محمد وآخرون: 2011):

- 1- النزعة العلمية التجريبية: التي تعتمد على الملاحظة والتجربة والاستقراء.
- 2- النزعة النفسية: على اعتبار أن التربية عملية تستهدف الكشف عن قدرات المتعلم واستعداداته، وهي عملية نمو للشخصية بكل جوانبها.
- 3- النزعة الاجتماعية: أولت اهتماما خاصا بحاجات المجتمع ونمو الفرد الاجتماعي وإعداده للمشاركة في حياة وطنه وأمتة.

خاتمة:

لم يعد التاريخ مجرد سرد للأحداث والوقائع الماضية، بل تعدى تلك المرحلة إلى مرحلة التحليل والتفسير واستقراء النتائج واستنباط الحقائق والأدلة، اعتمادا على أسلوب علمي ومنهج موضوعي. وإذا كان الإنسان يعد محور دراسة التاريخ لكونه صانع الأحداث ولأنه الكائن الوحيد الذي يمكن

أن تنتقل ثقافته على مر العصور، فإن التربية تتخذ الإنسان محورا لها، وبذلك تشترك التربية مع التاريخ في أن محورها هو الإنسان. والتاريخ يعطي للتربية أفكارا عامة، وأمثلة ودروسا مختلفة سبق تجربتها والاستفادة من نتائجها منذ سنوات مضت. هذه العلاقة التفاعلية بين التربية والتاريخ جسدت تطور الفكر التربوي الذي يعد دراسة متخصصة للتاريخ من وجهة نظر التربية.

المراجع المعتمدة:

1. أبو عواد صالح بن علي (مارس 2014): العلاقة بين التربية وعلم النفس، حولية كلية المعلمين في أبها، مركز البحوث التربوية بكلية المعلمين، جامعة الملك خالد، أبها-المملكة العربية السعودية، 4.
2. بوقطاية مراد (أكتوبر 2002): مقومات التربية الحديثة في المدرسة، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 3، 45-54.
3. جابر حسن (حزيران 2010): التربية بين التقليد والتجديد (دراسة نقدية مقارنة)، مجلة رسالة النجف، جامعة النجف الأشرف للعلوم الدينية، حارص-لبنان، السنة السادسة، 17.
4. جرادات عزت وآخرون (1986): مدخل إلى التربية، ط3، المكتبة التربوية المعاصرة، عمان.
5. الحاج أحمد علي (2013): أصول التربية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان.
6. الدلفي، محسن علي (2014): الشامل في التربية وعلم النفس، مكتبة المجتمع العربي، عمان.
7. سعد مرسي أحمد (1998): تطور الفكر التربوي، عالم الكتاب، القاهرة.
8. الطروانة أخليف يوسف (2004): أساسيات في التربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله.
9. الطيطي محمد وآخرون (2011): مدخل إلى التربية، دار المسيرة، ط3، عمان.
10. الفاربي عبد اللطيف وآخرون (1994): معجم علوم التربية (مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك)، دار الخطابي، الرباط.
11. منشد فيصل عبد (2013): أسس ومبادئ التربية، الرضوان للنشر والتوزيع، عمان.
12. همشري عمر أحمد (2007): مدخل إلى التربية، ط2، دار صفاء، عمان.